للتسوية السياسية (مبادرتا مبارك وشولتس)؛ كما نشطت، في موازاتها، آلة القمع العسكرية الاسرائيلية لـ «اعادة الهدوء»، حيث لا يمكن البحث في الحلول السياسية تحت ضغط التهديد»، حسب تعبير المسؤولين الاسرائيليين؛ فجاء الرد الفلسطيني ، في بيانات القيادة الموحدة للانتفاضة، قاطعاً: الانسحاب الاسرائيلي أولاً؛ ومن ثم يمكن البحث في اشكال اخراج عملية التسوية السياسية. وعبّر تمسك جماهير الانتفاضة وقيادتها بـ م.ت.ف. ممثلاً شرعياً ووحيداً لها، عن مدى تبلور الشخصية الوطنية الفلسطينية وتماسكها؛ وبالتالي رفضها للحلول الجزئية لهذا الجزء من الشعب الفلسطيني أو ذاك؛ فالارض الفلسطينية والمنفى الفلسطيني «وحدة غير قابلة للقسمة»، في حين اقتصرت الطروحات السياسية الجديدة ـ القديمة، العربية والعالمية، على مشاريع للبحث في مسألة الارض الفلسطينية المحتلة ومن عليها. ويعتبر الخلاف حول مسألة التمثيل الفلسطيني في المؤتمر الدولي، فيما لو تقرر له الانعقاد، تعبيراً عن تباين الاتجاهات حول توجهات الحل السياسي لهذه القضية.

وبغض النظر عن امكان استمرار الانتفاضة الحالية، أو توقفها، فهي تطرح اسلوباً جديداً في الصراع مع العدو الصهيوني، متحرراً من القيود العربية، أولاً، التي مورست على الفلسطينيين منذ ثورة ١٩٣٦ حتى الآن؛ كما انه تمكن (الاسلوب) من تحييد فاعلية القوة الاسرائيلية بالشكل الذي اعتادت اسرائيل استخدامه ضد الانظمة العربية وقوات م.ت.ف. اضافة الى انها استثارت عطف الرأي العام العالمي، وبالتالي تأييده؛ كما جعلت المجتمع الاسرائيلي يتلمّس أزمته في استمرار فرض سيطرته على الفلسطينيين، حسبما تشير تعليقات بعض افراد النخبة الاسرائيلية السياسية، والفكرية. وبذلك استطاع الدم الفلسطيني الجديد الذي غذت به الانتفاضة الثورة الفلسطينية ان يشحنها بقدر اكبر من العافية، ويوفر لها القدرة على التحرك السياسي بقوة اكبر وآفاق ارحب واوضح.

وقد حددت الانتفاضة، بقدرتها على الاحتمال والمواجهة، وبطروحاتها السياسية المعلنة، وبنظام ادارتها للصراع مع العدو الصهيوني، ان معركة الصراع من اجل انشاء الوطن الفلسطيني قد بدأت على ارض فلسطين؛ وهي بذلك تطرح على نفسها وعلى عدوها الخيارات الحادة التي تقتضي المراجعة، من قبل الصهيونيين والفلسطينيين، لطروحات كل منهما التي شكلت ارضية الاستقطاب لكلا الشعبين. فاسرائيل، كأداة لاستكمال انجاز المشروع الصهيوني، غير قادرة على فرض سيطرتها الى الابد على الشعب الفلسطيني المتواجد على ارض فلسطين.

لقد فتحت الانتفاضة الفلسطينية الاخيرة معركة «عض الاصابع» بين الشعب الفلسطيني وعدوه الصهيوني. وكما ان الحرب تقع بين الاعداء، فان السلام يعقد بين الاعداء، أيضاً؛ والسلام يقتضي التفاوض بين الاعداء بالواسطة أو مباشرة، حسب مستوى العداء. فهل يشكل تقارب العملاقين الارضية لاتفاق فيما بينهما على ان يكونا الواسطة التي تدفع بالطرفين، الاسرائيلي والفلسطيني، الى مائدة المفاوضات، التي يقتضي الوصول اليها.

وبانتظار ان يقلع قادة المؤسسة الاسرائيلية عن العنت الذي شكل ارضية لممارساتهم قبل وبعد انشاء دولة اسرائيل، ومن ثم استخدام عقولهم للخروج من الآفاق الضيقة التي لا تتجاوز مسافة انوفهم؛ فالطروحات الفلسطينية واضحة والخيارات محددة، وليس لدى الفلسطينيين ما يخسرونه أكثر مما خسروا.